المكتبة الصوفية

الرحلة الورثيلانية

الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار

تأليف

سيدى الحسين بن محمد الورثيلانى

المجلد الأول

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة

ت : ٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١ فاكس : ٢٥٩٣٦٢٧٧

ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

E-mail : alsakafaDinya@hotmail.com

المكتبة الصوفية

الرحلة الورثيلانية

الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار

تأليف

سيدى الحسين بن محمد الورثيلانى

المجلد الأول

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25922620-25938411 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الورثيلاني، الحسين بن محمد السعيد ، 1713-1779
الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار /
تأليف سيدى الحسين بن محمد الورثيلاني
- ط 1 - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية 2006
ج1: 24 سم
تدمك :3-371-341-977
أ- التصوف الاسلامي
ب- العنوان

ديوي : 260

رقم الايداع :22519 /2007

كلمة للمصحح

الحمد لله الذي جعل الرحلة لبيته الحرام من قواعد الإسلام، وأمر بالسفر في البرور والبحور، فقال الله عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾. وجاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم قال: «سافروا تصحوا وتغنموا». والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا ومولانا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والذين جابوا البسيطة من المغرب الأقصى إلى بلاد الصين.

أما بعد فالرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للإمام العلامة والأستاذ الفهامة الشريف النوراني الشيخ الحسين ابن محمد الورثيلاني نسبة إلى بني ورثيلان قبيلة قرب بجاية. أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر. وأعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر؛ لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف، وأوابد العوائد، وفرائد الفوائد، ونسق كالأوصاف الكاملة، وحل المسائل الشاكلة تارة راتعا في رياض الفقه والحديث والتوحيد، وتارة واردا حياض التفسير والتاريخ والتجويد، وآونة طامحا إلى التصوف والنصح والوعظ. باذلا في ذلك كله غاية الجهد والنكظ. فاصلا جمانه بمرجان الحكايات الأنيقة، ومرصعا وشاحه بياقوت الأشعار الرفيقة وغير ذلك مما هنالك. ولما كان هذا التأليف الحسن الترصيف مطمح الأنفس، وغاية التأنس، أمر سمو الوالي العام بطبعه، لتعميم نفعه.

وقد اعتمدنا في التصحيح على أربع نسخ:

١ - نسخة مخطوطة بخطوط مغربية مختلفة مقابلة على نسخة منقولة من مسودة

المؤلف مجموع صفحاتها ٦٤٢ في كل صفحة من ٢١ إلى ٣٢ سطرا وكل ٣٣ كراسة غير مخيطة متخللة بأوراق مورقة طولها ٢٧١ مليمترا في عرض ٢١٠ مليمترا.

٢- نسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها جيل مقابلة كالتي قبلها على مسودة المؤلف مجموع أوراقها ٢٥٣ في كل صفحة ٢١ سطرا و٣١ كراسة غير مخيطة متخللة أيضا بأوراق مورقة طولها ٢٠٧ مليمتر في عرض ١٩٠ مليمترا وهي أصح النسخ وأقل بياضا.

٣- نسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها غير جيد مؤرخة بيوم الجمعة الفاتح لشهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر (١٣١٣) مجموع صفحاتها ٦٤٠ في ٣٧ كراسة غير مخيطة متخللة بأوراق مورقة في كل صفحة ٢٠ سطرا وطولها ٢٦٥ مليمترا في عرض ١٩٥ مليمترا.

٤- نسخة مطبوعة على الحجر في حاضرة تونس سنة ١٣٢١ بتصحيح الشيخ علي الشنوفي والشيخ الأمين الجريدي وهذه النسخة مشتملة على ثلاثة أجزاء في الأول ٢٥٠ صفحة وفي الثاني ٢١٤ صفحة وفي الثالث ٢٦٠ صفحة غير أنه يمكن أن تعتبر نسخة مخطوطة بخط مغربي كاد لا يقرأ في بعض المواضع لانطماس الحروف وتعثر القلم والتمجمج أو تفشي المداد وزيادة على ذلك لم ينبه في غير موضع عن البياض الموجود في الأصل.

هذا وقد بذلنا في التصحيح غاية الجهد مع أننا معترفون بأننا لم نبلغ منزلة تسمو عن النقد. ولا سيما كون الأصول التي راجعناها عند الطبع مختلفة الروايات مضطربة العبارات. وقد تعذر علينا كثيرا إصلاح التصحيف والتحريف بعد مراجعة عدة من التآليف. وما العصمة والكمال إلا لذي القدر والجلال.

محمد ابن أبي شنب

ترجمة المصنف

الحمد لله وجد مكتوبا في آخر صحيفة من رحلة الشيخ البركة سيدي الحسين الورثيلاني ما نصه:

يقول زابر هذه الأسطر الفقير إلى الله القدير، عبد القادر بن محمد الصغير، وفقه الله لما يحبه ويرضاه، اعلم أيها الواقف أن مؤلف هذه الرحلة وجامعها هو مولانا وقدوتنا إلى الله تعالى المحقق الكامل، العالم العامل، العارف بالله تعالى أمام المحققين والمريدين، ذو الرتبة الإلهية والعلوم الربانية، والمنح الرحمانية، المقتفي لكتاب الله تعالى والسنة المحمدية، وهو الولي الصالح، والعالم الرباني، سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني، رحمه الله تعالى ونفعنا به كان إماما محققا بارعا في العلوم وتفقه حتى وصل الغاية في مذهب المالكية، ولا سيما قد فتح الله عليه بالافتتاحات الربانية، وله تصانيف عديدة، وتآليف مفيدة.

منها شرحه على القدسية للإمام المحقق، والفهامة المدقق، سيدي عبد الرحمن الأخضري وهو شرح حسن إذ لم نعلم لها شرحا غيره.

ومنها شرحه على وسطى الإمام السنوسي.

ومنها شرحه أيضا على محصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن زكري التلمساني غير انه مات فيه قبل تمامه.

وشرح أيضا خطبة شرح الصغرى للسنوسي.

وله حاشية جليلة على حاشية المحقق السكتاني التي وضعها على شرح السنوسي.

وقد وضع رسالة عجيبة على قول بعض الأولياء وقفت على ساحل وقفت الأنبياء دونه لعله أبو الحسن الشاذلي والله اعلم.

وله رسالة أخرى في بعض قول الأولياء نسجت برنسا من ماء وغطيت به من الأرض إلى السماء الخ.

ورأيت له حاشية على صغير الخرشي مزبورة على هوامش الشرح.

وقد شطر البردة.

والقصيدة التي للبوصيري أولها «يا رب صل على المختار من مضر» تشطيرا عجيبا بحيث لا تفرق بينه وبين الكلام الأصلي وغير ذلك من القصائد والتآليف والتقارير مما يطول تتبعه.

ولد رحمه الله تعالى على ما أخبرني به أبي عام خمسة وعشرين من الثاني عشر (١١٢٥) وتوفي على ما ذكره لي بعض تلاميذه في شهر رمضان عام ثلاثة وتسعين من القرن (١١٩٣) وبعضهم قال عام أربعة وتسعين فعلى هذا عاش المؤلف ثماني وستين أو تسعا وستين سنة انتهى.

هذا وقد ترجمه أيضا العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ أبو القاسم محمد الحفناوي في القسم الثاني من كتابه الموسوم بتعريف الخلف برجال السلف المطبوع بالجزائر فقال هو الإمام العالم العامل العلامة الكامل الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتبع لأثر الرسول الجامع بين المعقول والمنقول بحر الحقائق وكنز الدقائق مفيد الطالبين ومربي السالكين وقدوة العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين محيي السنة والطاعن في نحور مخالفيها بالأسنة نادرة الزمان

وبركة المسلمين في كل عصر وأوان الجامع بين العلمين والكامل في النسبتين حامل لواء الشريعة والحقيقة ومعدن السلوك والطريقة ذو التأليف المفيدة والتصانيف العديدة العالم الرباني والقطب الصمداني والشريف النوراني الشيخ سيدي الحسين الورثيلاني نسبة إلى بني ورثيلان قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية التابعة للجزائر كان رحمه الله مجاب الدعوة شديد السطوة لا تأخذه في الله لومة لائم ليله قائم ونهاره صائم.

تـــــراه يـــــصلي ليلـــــه ونهـــــاره يظـــل كثـــير الـــذكر لله ســـائحا

متعلقا برب الأرباب متوكلا على الكريم الوهاب قد استوى عنده الذهب والتراب فهو ممن ترك الجيفة للكلاب ورأى المصطفى في المنام فاحتضنه فأول ذلك بزهده في الدنيا والحطام ظهرت على يده الكرامات وخوارق العادات وشهد له أهل الصدق بالولاية الكبرى والمكاشفات ونصر الله به الدين وقطع به دابر الملحدين ولم يزل متضرعا لله في السر والنجوى يصدع بالحق ويقيم السنة صادق اللهجة واضح المحجة مستقيم الحجة قصد بيت الله مرارا وحجه طاهر الجنان رطب اللسان ناشط الأعضاء في العبادة والأركان.

حلـــف الزمـــان ليـــأتين بمثلـــه حنثـــت يمينـــك يـــا زمـــان فكفـــر

كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما رآه أكثر من ثلاثمائة مرة وفي بعضها قال له عند تعلقه به:

تـضلع مـــن علـــم الـــشريعة بعـــد مـــا تـــضلع مـــن علـــم الحقيقـــة[1] وتـــدرعا

أخذ العلم عن والده وأشياخ وطنه ثم رحل إلى المشرق فحج واجتمع بالخضر

---

(١) هكذا بالأصل.

عليه السلام بمكة المشرفة واجتمع بالشيخ الهماق[1] صاحب الطريقة المشهورة بالمدينة المنورة ودخل مصر القاهرة فوجدها طافحة بالعلم والعلماء نيرة زاهرة فركع واستفاد واخذ العلوم العالية عن أولائك كالأسود والأسياد فممن أخذ عنه الصعيدي والحفناوي والجوهري والنفراوي والعفيفي والسيد البليدي والملوي والصباغ والعمروسي وخليل الأزهري وعمر الطحاوي والزياتي والأشبيلي وأبي القاسم الربيعي والهاشمي وابن شعيب الكردي والفيومي وأجازوه في العلمين ثم رجع من المشرق بعد أن امتلاء وطابه وفاض عبابه بعلم وأفاد وألف وأجاد ودعا إلى الله العباد وقهر الجهلة أهل التعصب والعناد فمن تأليفه الرحلة السنية التي سارت بها الركبان وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها فهي حصن حصين ودرع متين ومنها شرحه على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمن الأخضري في التصوف وحاشية على الكستاني وكتاب المرادي وقصيدة فيها خمسمائة بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كالهمزية لكنها ميمية وشرح على خطبة الصغري ورسالة جوابا على قول بعضهم خضت بحرا وقفت الأنبياء بساحله ورسالة في حل اللغز الذي أرسله سيدي أحمد بن يوسف الملياني إلى علماء فاس فعجزوا عنه وأما وفاته رحمه الله فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه يعيش إلى السنة العاشرة من القرن الثالث عشر فتكون وفاته كما أخبر به الصادق المصدوق لأنه لا ينطق عن الهوى ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق ومن رآه فقد رأى الحق كما في صحيح البخاري اهـ.

(١) هكذا بالأصل.

نزهة الأنظار

في

فضل علم التاريخ والأخبار

المشهور بالرحلة الورثيلانية

للشيخ العالم الرباني والشريف النوراني

سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني

قدّس سرّه

آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

قال الشيخ الفقيه العالم الورع الزاهد شيخ الشريعة والحقيقة، وإمام أهل الطريقة، العالم الرباني، والفقيه النوراني، سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني[1] رحمه الله تعالى ورضي عنه وأعاد علينا من بركاته وأفاض علينا من بحر أسراره وأنواره بمنه أمين.

الحمد لله الذي خلق الإنسان[2] أطوارا، وجعل الشمس والقمر والنجوم أنوارا، وسيرها من كون إلى كون بحيث تقطع أبراجا ليلا ونهارا، فيا عجبا من رحلتها بسوق الأملاك إياها فهي أية النهار حقا مشهورا. خُلِقَ الإنسان[3] من نطفة أمشاج لِيُبْتَلي وجُعِل سمعيا بصيرا، فَيَهْدِي إلى السبيل أما شاكرا وأما كفورا، ثم كالأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها المقربون أعني زمزم وذات المحبوب يفجرونها بالشوق[4] تفجيرا، نعم يوفون بها به كلفوا من المناسك وما به عرفوا من الحقائق تذكرا وتذكيرا، يسمى[5] العهد القديم والنذورا، ويخافون يوما كان شره مستطيرا، ويطعمون الطعام في البر والبحر على حبه والرغبة فيه لقلته وغلاته جائعا وضريرا، بحب وشوق وعشق في الله ونبيه ورضاهما لا يريدون جزاء ولا شكورا، فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسعيهم سعيا مقبولا مشكورا، وتجارة لن تبورا، ليوفيهم الله تعالى أجورهم ويزيدهم من فضله النظر إلى وجهه وقد حجوا

(١) في جميع النسخ الورتلاني.

(٢) في نسختين للإنسان.

(٣) في نسختين بإسقاط الإنسان.

(٤) في نسخة بإسقاط بالشوق.

(٥) في ثلاث نسخ سيا.

حجا مبرورا، ولقاهم أيضا نظرة ورحمة وعزا ورفعة ومعرفة وزهدا وبصيرة وسرورا، وجزاهم أيضا بما صبروا لتعب السفر ومشقته حرا وبردا وسقيا[1] جنة وحريرا، فلا يرون في ظل العرش عذابا أصلا ولا شمسا أيضا ولا زمهريرا، فما أحسنها من رحلة وظعن من الخلق إلى الخلق وان إلى ربك المنتهى وسواه لم يكن شيئا مذكورا، فسبحان من وفق[2] وخذل آخرين مع استوائهم في البشريات ألا له الخلق والأمر تبارك الله يقول للشيء أخسا فيكون مذموما مدحورا، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرمدا دائما بكرة وأصيلا ليلا ونهارا، وعلى آله وأصحابه أجمعين صلاة نحوز بها غدا حجابا عظيما من شر كل ذي شر مع لواء الحمد في حضرة القدس منشورا، وذلك مع الأباء والأمهات والأزواج والذرية والأحبة وفي جنة الفردوس تكون قصورا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نشأت من صميم القلب و خلوص الاعتقاد خالية من الأمتراء تكون لنا يوم القيامة فوزا ونورا، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ونبيه وقريبه صلى الله عليه وسلم إذ كان مؤيدا منصورا.

وبعد فأني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار، والرباع[3] والقفار والديار، والمعاطن والمياه و البساتين والأرياق والقرى والمزارع والأمصار، والعلماء والفضلاء والنجباء والأدباء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الأخيار، والأشياخ العارفين والأخوان والمحبين المحبوبين من المجاذيب المقربين والأبرار، من المشرق إلى المغرب سيما أهل الصحو والمحو إذ ليس لهم من غير الله فرار، أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو

(١) في نسخة بإسقاط وسقيا.

(٢) في نسخة وفي.

(٣) في نسختين والربع.

بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار مبينا فيها بعض الأحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الأحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف مما فتح به علي أو منقولا من الكتب المعتبرة سيما وان اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا وقدوتنا ومن على الله ثم عليه اعتمادنا سيدي أحمد بن [محمد بن] ناصر [الدرعي الجعفري[1]] هذا وأني أنقل أيضا من بعض كتب التاريخ كنبذة[2] المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان[3] وكذا حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وغيرهما[4] مما يناسب المحل جعله الله خالصا لوجهه وعملا متقبلا بين يديه وحصنا حصينا من كل بلاء دينا ودنيا لمؤلفه وناسخه ومالكه وناظره أمين يا رب العالمين وكذا قلت وعلى الله اعتمدت.

اعلم أيها الأخ لما أراد الله المشي منا إلى الحج وقد سبق في علم الله أن يكون حجنا في عام تسعة وتسعين ومائة وألف (١١٧٩) مع إجابة وتلبية للخليل عليه السلام حين قال له الله تعالى وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر من كل فج عميق الآية حدث لنا العزم بإذن الله تعالى.

وسببه أن الفاضل العالم الكامل الصالح أخانا في الله والمحب من أجله سيدي أحمد الطيب الزواوي نجل الولي الصالح سيدي محمد السعدي من بني العزيز من وطن بني منجلات قدم إلينا زائرا وواقفا علينا وطالع أحوالنا لعل الله يفرج ما بنا من الفتنة مع بعض المخذولين الخارجين عن طاعة الله ورسوله في الأحكام الشرعية بعد إعطاء البيعة والأذعان في جميع الأحكام الشرعية ونبذ العوائد الردية والبدع

---

(١) طبعت هذه الرحلة في فاس بغير ذكر السنة.

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) لعله كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان.

(٤) كذا في جميع النسخ.

الشنيعة كقطع الميراث وأكل أموال الناس بالباطل وأموال اليتامى ولين الجانب كالأرامل فلما وصل إلينا فرج الله عنا ذلك بعد أن وقع النصر من الله العزيز لقوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ ولقوله تعالى: ﴿ تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ ﴾ فيوقع الصلح بين الفريقين وأظهروا التوبة والذل والمسكنة والندم بعد أن كانوا ممتنعين منها ظاهرا وباطنا الفضل لله تعالى والشكر له جل جلاله.

فلما كان ذات ليلة من الليالي إذ[١] اجتمع سيدي أحمد الطيب مع أخينا في الله سيدي أحمد بن حمود[٢] وسيدي مهنًا وكلهم ذوو الفضل والعلم والصلاح في دارنا فأخذوا في حديث الانتقال من الوطن فتوفي بهم الكلام إلى التحدث على الحج سنة إذ مع أننا سمعنا أن الشيخ الفاضل الكامل شيخ الركب سيدي محمد المسعود نجل الشيخ البركة سيدي الموهوب نجل الشيخ الولي الصالح والبدر الواضع سيدي محمد الحاج قد ضرب طنبله[٣] في المدينة المحروسة الجزائر على عادة الأمراء في ذلك نعم كنا تواعدنا معه قبل على السفر جميعا وفق الله الكل إلى صالح القول والعمل وذلك عام مشينا لزيارة النبي سيدي خالد عليه السلام على القول بنبوته وقد شهر غير واحد من المتأخرين رسالته بجبل الرس[٤] الملقب الآن أوراس وكانت معجزته نارا[٥] وكانت رسالته قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمدة قريبة إلا أن رسالته صلى الله عليه وسلم نسخت جميع الرسائل والشرائع إلا ما بقي[٦] عن كونه لم ينسخ والذي شهر رسالته صاحب التآليف المشهورة والتصانيف المذكورة المتفع

---

(١) إذا.

(٢) في نسخة حمودي.

(٣) في نسخة طنبه.

(٤) في نسختين الرص.

(٥) في نسختين نار.

(٦) في نسخة بإسقاط عن.

بها غربا وشرقا وجوفا وقبلة سيما بمحروسة مصر في الجامع الأزهر إذ قد اقبلوا على تلك التآليف إقبالا كليا تدريسا وبحثا وشرحا وتعليقا بالحواشي وتطريرا سيدي عبد الرحمن الأخضري نفعنا الله ببركاته وأفاض علينا من بحر أنواره رضي الله عنه وأنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التربيع وهو مقام عظيم والوفود تأتيه من المشرق والمغرب للزيارة وأما على قول بولايته فواضح لأن قبور الأولياء لا تكاد أن تخفى وكذا نص على رسالته الخفاجي على الشفاء فما أحسنها من زيارة وقد اجتمع فيها أكابر الفضلاء وأعظم الصلحاء وتلاقينا في تلك الزيارة مع أفاضل الزاب ونجبائه ولا شك أن أكثرهم مجاب الدعوة كالشيخ الفاضل الفقيه المدرس في مسائل المختصر للشيخ خليل بشرح القدوة صاحب الأنوار الشيخ التتائي مع حاشية الشيخ مصطفى سيدي محمد الشريف من بني جلّال وأهله من الأشراف والسيد عبد الباقي والفضلاء من الطلبة والفقيه الأديب سيدي عبد الباري واجتمعنا أيضا بالزاهد في الدنيا المتخلي عنها رأسا سيدي المبروك وسيدي المبروك هو تلميذ الولي الصالح الورع الزاهد سيدي أحمد بن باباس[1] ونجليه سيدي المحفوظ وسيدي الطيب وسيدي المحفوظ كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويرى الله تعالى أيضا حسيا تراه في مراءيه وكان أخا لنا[2] نفعنا الله ببركاته أمين.

وقد كان سيدي المبروك رضي الله عنه حينئذ متبتلا منقطعا للعبادة وقد رأيته رضي الله تعالى عنه كأنه خارج من قبره تعلوه صفرة وقد ظهر أثر التراب على وجهه فبتنا عنده في قريته وتكرم علينا غاية ودعا لنا ولإخواننا ومن تعلق بنا فلما أردنا الانفصال صبيحة تلك الليلة ذهب عائدا لزيارته سيدي أحمد الطيب وكثير من الناس فلم أذهب أنا معهم قصدا مني أن لا أمنعه من العبادة في تلك العودة وما

---

(١) بباس.

(٢) خالنا.

حصل لنا قبل كأبي وذلك شأني مع كل مشتغل بالله تعالى فأن كنت بطاه فلا أعوق الغير عما يعنيه.

وقد دخلنا طولقة فاجتمعنا بها أيضا مع أهل الفضل والعلم وزرنا أيضا الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمن الأخضري في قريته المشهورة فلما وصلته وجدته كأنه حي في قبره وذقت[1] منه أمرا عظيما يكاد الجاهل أن يحيله وقد زرت والحمد لله النبي سيدي خالدا مرة أخرى قبلها مع الجم الغفير والجمع الكثير نحو الألف وفيه من الأفاضل ما لا يحصى كالسيد الفاضل الشيخ سيدي علي بن المبارك نجل سيدي علي الطيار وفي ذلك السفر زرت الشيخ الغوث أبا جملين في المسيلة أفاض الله علينا من بركاتهم وأعاد علينا من أنوارهم.

هذا وأن العهد مع سيدي محمد المسعود موثوق[2] فعقد الجميع النية وعزموا على الحج جزما وكان عزمي بعزمهم غير أن عزمي لم يتفّو[3] ذلك العام إلا إذا ذهبوا فاذهب معهم قطعا إن شاء الله تعالى وبعد ذلك أظهر الجميع عزمه إلى الحج وأنا أقول عزمي على عزمهم فأعان الله الكل فحجوا وقضوا مناسكهم حال الحياة تقبل الله من الجميع.

نعم علامة القبول موجودة ودلائل الخير حاصلة إن شاء الله تعالى وكيف لا إذ لم يسافروا إلا حبا في الله ولله ومن الله[4] وشوقا في رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تقت.

(٢) بإسقاط موثوق.

(٣) لم يتفق.

(٤) بإسقاط ولله ومن الله.

ودلائل الخير[1] لا يمكن فشوها كان ذلك في الكعبة وعند المواجهة علمها بعض الفضلاء وقد شاهدنا[2] ما لا يصح تخلفه بفضل الله تعالى وناهيك بزيارتهم وحبهم والأخذ منهم وإلا فالمحروم شقي ومن لم يحسن الظن غبي.

وبالجملة فلما سمع الناس من عمالة الجزائر بحج هؤلاء الفضلاء ونخبة العلماء حركهم ذلك إلى شد الرحال إلى بيت الله الحرام من كل بلد ووقع الضجيج من عامة المسلمين ومن خاصتهم وذلك من الحاضرة والبادية حتى ذهب جميعهم بنسائهم وأولادهم.

نعم زاد عزمي وقويت[3] همتي للمشي غير أنه عارضني أمر أوجب السفر مع الأخ في الله سيدي أحمد الطيب إلى ناحية زواوة وقرية تدلس [دلّس] لزيارة الشيخ الولي الصالح سيدي أحمد بن عمر إذ سمعت به في صباي أنه من أهل التصريف وقد أخبرني بذلك البعض من أهل الخير ممن يوثق بهم وكان رضي الله عنه يعرف أهل عصرنا ويطالع أحوالهم ويعلم من كان من أهل التصريف منهم من المشرق والمغرب وأنه اخبرني بأن سيدي احمد الزروق بن مصباح وسيدي الحسين بن أعراب من بني يرذان وسيدي أحمد ابن باباس[4] الفليسي وسيدي أحمد بن عمر التدلسي أنهم من أهل الوقت وهو غير بعيد بل هو الحق إن شاء الله تعالى.

نعم هؤلاء فقهاء مدرسون متبعون للسنة وقد ظهرت عليهم آثار الفضل

---

(١) ودلائل أخر.

(٢) شهد.

(٣) قوت.

(٤) بباس.

وأنوار الحق مشرقة عليهم وقد صحبتهم وأحببتهم وشهدت[١] من جميعهم ما يدل على ذلك على أن سيدي ابن أعراب كان يحدثني عن رجال الغيب ويقول أنهم قالوا ذا ويكون ذا ولولا الإطالة لذكرت من كلامه ما فيه العجب العجاب من اطلاعه على بعض المغيبات.

نعم أحوال الكشف فيه ظاهرة وقد روينا من أسراره[٢] رضي الله عنه وكذا من الجميع في محالهم وقد زرتهم مرارا مع اطلاعي على بعض أسرارهم والحمد لله تعالى.

فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين إذ القتال بين المسلمين في وطننا كثير والفتنة بينهم قل أن ترتفع والهرج بينهم قوي أزال الله ذلك بمنه وكرمه وحكم السلطان غير نافذ فيهم إذ لا يقدر عليهم وان كانوا قريبا من الجزائر لكونهم تحصنوا بالجبال فلم يفد فيهم الأئمة الصالحين وأهل الخير فيجب على من يقبل منه أن يذهب إليهم ويصلح حالهم ليرتفع ما فيهم من المعصية وهي قوله صلى الله عليه وسلم القاتل والمقتول في النار الحديث وقد نص علماء بجاية على أنه يجب على أهل الخير والصلاح ممن يقبل منه أن يصلح بين هؤلاء المسلمين وإلا عصى الله تعالى وقد نُصَّ أيضا على أنه لا يجوز حال قتالهم النظر إليهم ولا النزهة[٣] فيهم لأنها معصية فلا تجوز مشاهدتها وهو شريك بالنظر أنظره في الأسئلة تره بالعيان.

وبالجملة فذهبنا لبعض القرى قد خربت من أجل ذلك وعلها ترجع للعمارة وكان ذلك في يد متولي أمرهم سلطان مجانة بتخفيف الجيم كما سمعته من بعض من

(١) كذا في جميع النسخ.
(٢) في نسخة من بحره.
(٣) التفرّج.

يعرف ضبطه من الحذاق ويوثق به في اللغات وهو المعظم الأجل محب الصالحين الشريف المبارك محمد بن أحمد بن القندوز المقراني ثم العباسي متوجهين إلى تلك النواحي.

ومررنا على قبر الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح رحمة وطننا وغيث بلدنا(١) سيدي يحيى العيدلي نفعنا الله به أمين وقد شهد بقطبانيته الشيخ الولي الصالح ذو التصانيف المفيدة سيدي عبد الرحمن الصباغ شارح الوغليسية وقد شرح البردة أيضا بان اختصر شرح الإمام ابن مرزوق التلمساني عليها بعلوم سبعة ورثاه عند موته بقصيدة عظيمة وشهد له أيضا بالعلم الظاهر والباطن وان له كرامات عظيمة(٢) وشهد له بذلك(٣) أيضا بحر الولاية والعلم سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ومثله في العلم والولاية سيدي التواتي البجائي وكان حكمه وفتواه لا يردان من بجاية إلى تورز [ومثله طود العلم وشمس الحق والعرفان السيد الشيخ زروق وكفى بهم علما وديانة ونصحا للمسلمين(٤)] أما سيدي عبد الرحمن الثعالبي فانه رد(٥) رسالة للشيخ سيدي يحيى بان شاوره على أمور ثلاثة أحدها من أزواج ابنتي والثانية من يكون وصيا على أولادي والثالثة تجعل تأليفا لأصحابي فأجابه الشيخ الثعالبي عنها بان بنتك زوّجها من تلميذك فلان وأما الوصية فأنت الوصي عليهم حيا وميتا وأما التأليف فقد ألفت ما فيه كفاية والآن قد كبر سني ووهن عظمي فلا أقدر على التصنيف وهؤلاء كلهم في القرن التاسع رضي الله عنهم

(١) رحمة بلدنا وغيث وطننا.
(٢) وان له من الكرمات شيء عظيم (هكذا).
(٣) بإسقاط ذلك.
(٤) ما بين القوسين ساقط في بعض النسخ.
(٥) وردت [عليه].

المكتبة الصوفية

الرحلة الورثيلانية

الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار

تأليف

سيدى الحسين بن محمد الورثيلانى

المجلد الثانى

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

المكتبة الصوفية

الرحلة الورثيلانية

الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار

تأليف

سيدى الحسين بن محمد الورثيلانى

المجلد الثانى

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد – القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الورثيلاني، الحسين بن محمد السعيد، 1713-1779
الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار /
تأليف سيدى الحسين بن محمد الورثيلاني
- ط 1 – القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية 2006
ج2: 24 سم
تدمك :1-372-341-977
أ- التصوف الاسلامي
ب- العنوان

ديوى 260

رقم الايداع : 2007/22520

المجلّد الثّاني

دخولنا مكة المشرفة

زادها الله تشريفا وتعظيما وتكريما

فدخلنا مكة فلم تغادر في النفس ترحة، وأزالت عن الجفون كل فرحة، فدخلناها في زحمة عظيمة كادت النفوس أن تزهق غير أن سرورها بالوصول إليها خفف بعض الألم بل قد زال التعب والنصب كأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا من منحه الله بل الأرواح قد تجلى عليها ربها فخرت صعقة مغشية عليها فغيبها عن الأكوان كلها بمشاهدة مكونها ومن جملة من غابت عنه هذا الغيب فلم تكترث بها أصابها من الهم والمشقة فلما هب نسيم جوار الحبيب عليها أيقظها وأشهدها رسوم مكان الوصال، ودلائل الحضرة وسواطع الانتقال، فعلمت بيت الرب، وتعلق به الجبح واللب، سدل كل حبيبت سوى هذا الحبيب وراءه، فأقام كاس الجوار وأداره[1]، وصار شذاؤها انتظاره، فهبطنا منحدرين إلى أن وصلنا قرب البيت فدخلنا المجسد من باب بني شيبة، فأفاض الله علينا من جوده كرامة وهيبة[2]، فظفرنا بالأمن والأمان والسلام من باب السلام.

ثم أقول كما قال شيخنا سيدي أحمد بن ناصر ما نصه فشاهدنا البيت العتيق الذي تزيح أنواره كل ظلام وقد تدلت أستاره، وأشرقت أنواره، وقد شمر البرقع عن أسافله، حتى لا يكاد الطائف يناله بأنامله، يفعلون به ذلك من أول تقدم الوفود، ولا يطلقون أستاره حتى تعود.

قال الإمام أبو سالم وقد قلت في هذا المعنى، وأبديت فيه تشبيها غريب المبنى:

---

(١) في نسخة وقفى كل حبيب أوطاره وأقام كأس المحبة وأداره.

(٢) في نسختين بإسقاط كرامة وهيبة وفي أخرى من جوده وفضله وكماله.

فكأنــــه لمـــا بـــدا متـــشمرا | والطـــائفون بــه جميعـــا أحـــدقوا
ملـــك همـــام نـــاهض للقـــاء مـــن | قـــد زاره ولـــه إليـــه تَـــشَوُّقُ
فتبـــادر الغلـــمان رفـــع ذيولـــه | حتـــى إذا رجعـــوا أطلقـــوا

قال ومن رأى أكابر الملوك عند قيامهم، وتشمير الغلمان لفاضل الذيول عن يمينهم وشمالهم، علم غرابة هذا التشبيه وحسن موقعه، وأنه واقع في موضعه، وعلم ما بينه وبين من شبهه بهند وليلى، وانه لم يجد وصفا ولم يحسن قولا، فلما وقعت عليه أبصارنا، وافتضح ما أكنت من الشوق إليه أسرارنا، قطعنا التلبية لما رأيناه، وقلنا من الدعاء ما رويناه، وتجلت لنا الكعبة الشريفة، ورأينا جماعة الناس بها مطيفة، فيا لذلك المنظر الذي ملأ القلوب مهابة، والعيون جلالة تسكن لها الرياح الهابة، ولما تطوفنا من الجرد قبل ما تطوفنا به عقدا نظيما، رفعنا أيدينا وقلنا اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما، بعد أن بسملنا وسلمنا وصلينا وهللنا وطبنا، وللحجر الأسعد يممنا، ولم نقدم على تقبيله شيئا، ولا التحفنا من ظلال غيره فيئا، وقبلنا يمين الله في أرضه، والشاهد لمن قبله في يوم عرضه.

إلى سـيد الأحجـار في الحـرم الـذي | قـضى الخـالق البـاري بتعظـيم شـأنه
حثتنا مطايـا الـشوق والـسوق في الفـلا | فجـاءت بنـا إنـسان عـين زمانـه

وطفنا بالبيت سبع طوفات، للقدوم نوينا هذه الحركات، فأتممناه ولم نبال بما لنا في تقبيل الأحجار من الازدحام، والمورد العذب كثير ازدحام، وبعده أوقعنا ركعتين خلف المقام، وعدنا للبيت فوقفنا بالملتزم، وشربنا من ماء زمزم، ودعونا في ذلك كله بالأدعية المأثورة، ونظم كلماتها المنثورة، فعاودنا بالحجر بالاستلام، ناوين سنة السعي كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام، فخرجنا لقضاء شعيرة السعي من باب الصفا، كما روي عن معدن الصفا، وبدأنا بما الله به بدا، فارتقينا على الصفا، ووقفنا،

وللكعبة الشريفة استقبلنا، فهللنا وكبرنا، فوشينا الصحف بالدعوات المأثورة إلى أن قال وسعينا بين الميلين الأخضرين سعيا رفيقا سديدا[1] انتهى.

ثم اعلم أننا خيمنا بوادي سيدي أبي طالب والمسجد الحرام وذلك الوادي تحت أبي قبيس فذهبنا كما سبق إلى المسجد فدخلنا من الباب المذكور، وقلنا الدعاء المأثور، عند رؤية الكعبة حسبما ذكره شيختا آنفا فلما دخلنا المسجد بالذكر الوارد فيه قصدنا المطاف لطواف القدوم فبدأنا بتقبيل الحجر مع الزحمة العظيمة من الرجال والنساء فاكتفى الكثير منا بالتكبير ومعي جماعة كثيرة تكاد أن لا تحصى أطوف بهم علمتهم كيفية الطواف ومن الحجر البدء إلى السبعة الأشواط وكان البدء من الحجر الأسود غير أن من قبله أمرته بالبدء من مكان يحاذيه ولا يتم الشوط إلا من ذلك المكان الذي به البدء وكذا أمر المقبل للحجر الأسود للرجوع إليه إذ ربما رجع منه مقهقرا فينقض له الشوط حسبما يفعله الجهال فطفت بهم طوافا كاملا بشروطه وانتفاء موانعه مع الدعاء الوارد فيه أعلمهم إياه ولما رأى أهل مكة فعلي ذلك تغيروا وقالوا ألم تعلم أن أهل مكة لا ينتظرون إلا هذا الموسم فقالوا طف لنفسك واترك الناس فقلت أنا أطوف بهم وأعلمهم وانتم خذوا الأجرة منهم فلما كملنا الأشواط السبعة صلينا ركعتين خلف المقام وبعد الفراغ منهما أقمنا بالملتزم لأن الدعاء به مستجاب بعد أن شربنا من ماء زمزم وسألنا الله فيه ما شاء الله ثم مشينا للحجر قمنا من قبله. ومنا من كبر عنده لكثرة الزحمة فذهبنا للسعي في حر عظيم وأزدحام قوي فبدأنا بالصفا وصعدنا درجها إلى أن رأينا لكعبة كما هو السنة فدعونا الله بالدعاء الوارد فيها فمررنا كذلك إلى المروة ثم كذلك إلى تمام السبعة فلم نكمل السعي حتى اشتد علي الحال فظننت عدم التمام فكملته راجلا بمنة الله والفضل من السلام لأن محل

---

(١) في نسخة المأثورة وسعينا سعيا مشكورا.

السعي محل شوق عظيم وازدحام عميم.

وأقول كما قال شيخنا ما نصه ولو أيقظ الله الأمراء لمنعوا الناس من التسوق فيه أيام الموسم لكان في ذلك نفع كثير وأجر كبير فلما قضينا الوطر من العسي نزلنا بذلك الوادي ثم أننا أكترينا دارا مع أصحابنا معلومة طريقها والله أعلم من المروة غير أن أهلي ما دخلوها إلا بعد الرجوع من عرفة ونحن بتنا في ذلك الوادي أي أهلي وأصحابي وأما أنا فقد بت في الحرم والله أعلم وبعد ذلك اليوم هو يوم الذهاب فيه لمنى ثم إلى عرفة ثم إلى مزدلفة في الرجوع.

نعم حين نزلنا ميكة طفنا نهارا أي الرجال وأما أهلي النساء وكذا نساء من يحجب من الركب أي المخدرات طفن طواف القدوم ليلا فبعد ذلك اليوم عند صلاة العصر ارتحلنا إلى منى اليوم الثامن من ذي الحجة فانفصلنا عن مكة في ازدحام عظيم من كثرة الأركاب.

وفي ذلك اليوم قتل لي جملا طيبا قل نظيره سيدي محمد ابن سيدي خروف تلميذي فنزلنا بمنى قرب مسجد علي أي استندنا لحائطه من جهة اليمين بينه وبين الجبل الذي فوقه وهذا المسجد الدعاء فيه مقبول مستجاب وورد فيه فضل عظيم، وثواب جسيم، والصلاة فيه كذلك فصلينا فيه المغرب والعشاء وإن بعض الأركاب من المصري والشامي والعراقي والمغربي لم يرحل إلى نصف الليل أو الثلث الأول ثم ارتحلوا إلى عرفة فترك الكل الفضيلة وهو النزول هناك إلى شروق الشمس على ذلك الجبل فلما تحرك الكل إلى الرحلة وقع الكلام في ركبنا بالرحلة ليلا فتشاورنا على المبيت ثم مرة أخرى تحركوا ظنا منهم أن من رحل ليلا ليدرك المبيت في عرفة لأنها ليلة شكثم أن الجميع ارتحل فارتحلنا. فلما خرجنا من مزدلفة ووصلنا بينها وبين عرفة طلع الفجر أي بين العلمين فوجدنا أكثر الأركاب هناك نائمين أو الكل والله

اعلم وبطل ظننا الذي أنهم ارتحلوا ليدركوا الوقوف ليلا في عرفة فوصلنا ضحى مسجد نمرة الذي ينبغي الجمع بين الظهرين فيه بالقصر ولو لأهل مكة أي لغير أهله فنزلنا ثم كذلك إلى قرب الزوال فاغتسلنا أيضا الوقوف بين ذلك المسجد ومسجد عرفة فامتلأ المسجد ناسا وكذا مراحه واشتد فيه الحر بحيث لا يقدر أحد أن يضع رجله على الأرض عند الضحى وورد علي رجل ضرير فقيه عظيم يحفظ أكثر الشراح وهو مالكي من جزيرة العرب أعني البحرين فلما سألته عن أكثر أهلها فقال مالكيون نعم مسائل الفقه كلها أوجلها على طرف لسانه ليس يبغي إلا رضاء الله تعالى فجدير على أنه من أهل الفضل والكمال ووعدني بالملاقاة بالمسجد الحرام ثانيا فلما حان وقت الظهر صلينا في زحمة عظيمة يكاد الإنسان أن يموت من شدة الحر وأن العرق علينا يسيل فلا تجد أحدا إلا كاد أن تزهق روحه فصلينا خلف واحد من الأئمة ونوينا القصر وصلى هو بالإتمام من علم منا لما فرغ أعاد جميع أهل بلدنا وهو أننا نوينا القصر ونوى هو الإتمام فلما اختلفنا في النية بطلت صلاتنا ثم أعدناها جماعة جمعا وقصرا ثم حثثنا مطايانا للوقوف بعرفة إلخ.

فلنرجع إلى ما ذكره شيخنا ونصه والله اعلم بما نال وفد الله من الطرب والفرح، ونسيان العناء والترح، لما عاينوا تلك المشاهد، وشاهدوا تلك المراسم والمعاهد، فلا ترى إلا ضاجا بالذكر، وصارخا بالدعاء بالسر والجهر، كما قال قائلهم ولله دره:

وما زال وفد الله يقصد[1] مكة … إلى أن بدا البيت العتيق وركناه
فضجت وفود الله بالذكر والدعا … وكبّرت الحجاج حين رأيناه
وقد كادت الأرواح تزهق فرحة … لما نحن من عظم السرور شهدناه
تصافحه الأملاك من كان راكبا … وتعتنق الماشي إذا تتلقاه

(١) في الرحلة الناصرية يطلب.

وطفنـا بـه سـبعا رملنـا ثلاثـة … وأربعـة مـشيا كـما قـد وُعِـدْناه
كـذلك طـاف الهاشـمي محمـد … طـواف قـدوم مثـل مـا طـاف طفنـاه
وسـالت دمـوع مـن مـآقي[1] جفوننـا … على مـا مـضى مـن أثـم ذنـب كـسبناه
ونحـن ضـيوف الله جئنـا لبيتـه … نريـد القـرى تبغـي مـن الله حـسناه
ينـادي[2] بنـا أهـلا ضـيوفي تباشروا … وقـروا عيونـا بـالحجيج أضـفناه
غـدا تنظـرون في جنـان خلـودكم … وذاك قـراكم مـع نعـيم ذخرنـاه
فـأي قـرى يعلـو قرانـا لـضيفنا … وأي ثـواب فـوق مـا قـد أثبنـاه
وأبـدانكم قـد طهـرت مـن ذنـوبكم … ومـا كـان مـن ريـن القلـوب غـسلناه
وكـل مـسيء قـد أقلنـا عثـاره … ولا وزر إلا عـنكم قـد وضـعناه
ولا نـصب إلا وعنـدي جـزاؤه … وكـل الـذي انفقتمـوه حـسبناه
سـأعطيكم أضـعاف أضـعاف ضـعفه … فطيبـوا نفوسـا فـضلنا قـد أفـضناه
رفعـت لكـم مـا لم تـر العـين مثلـه … ولا علمـت نفـس مـا قـد رفعنـاه
فيـا مرحبـا بالقـادمين لبيتنـا … إليّ حججـتم لا لبيـت بنينـاه
علي الجـزآ منـي المثوبـة والـرضى … ثـوابكم يـوم الجـزآ تتـولاه
وجـاهي وأجـلالي وعـزي ورفعتـي … وجـودي ومـن قـد أمّنـا مـا رددنـاه
فطيبـوا وسروا وأفرحـوا وتبـاشروا … وتيهـوا وهيمـوا باينـا قـد فتحنـاه
ولا ذنـب إلا قـد غفرنـاه عـنكم … ومـا كـان مـن عيـب علـيكم سـترناه
فهـذا الـذي نلنـاه يـوم قـدومنا … وأول ضـيق للـصدور شرحنـاه

ولما كان اليوم الثامن هو يوم التروية وزالت الشمس طفنا فخرجنا لمنى إذ الـ

(١) كذا في الرحلة الناصرية وفي جميع النسخ عموم.
(٢) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية ونادى.

الخروج وقتئذ بقدر ما يدرك به الظهر كل على قدر حاله فإن المراد بقولهم يدركون بمنى الظهر أي يدركون أواخر الوقت المختار ويكره التراخي عن ذلك إلا لعذر كما يكره التقدم قبل ذلك ومن خاف خروج وقت الظهر قبل أن يصل إلى منى صلاها في الطريق وتردد مالك في قصره وإتمامه واستحسن سند القصر.

تنبيه الطواف يوم التروية ذكره أبو الحسن قال أبو الحسن في مناسكه وإذا كان اليوم الثامن ويسمى يوم التروية طاف سبعا بعد الزوال ثم يتوجه إلى منى ملبيا والسنة أن يخرجوا بقدر ما يدركون بمنى الظهر وكذلك ذكره خليل في مناسكه ونصه ثم إذا كان اليوم الثامن ويسمى يوم التروية فإذا زالت الشمس منه طاف بالبيت سبعا ثم يخرج من مكة إلى منى ملبيا وفي مناسك ابن هلال ابن حبيب وغيره إذا مالت الشمس يوم التروية فطف بالبيت سبعا ثم أركع ثم أخرج إلى منى وكذا في مناسك ابن فرحون.

وإنما ذكرت هذا لأنا لما أردنا الخروج إلى منى وأنكر بعض أن يكون الطواف وقتئذ عن أهل المذهب ولعله اغتر بما حكاه ابن المنير والدماميني وابن حجر عن مالك من أن الحاج لا يتنفل بطواف بعد طواف القدوم حتى يتم حجه فإن ذلك غريب ذكره الحطاب[1] في مناسكه ومررنا بمسجد العقبة ودخلناه وصلينا فيه ودعونا الله تعالى وكان نزولنا بمنى شرقي مسجد الخيف قريبا من بابه الشرقي وصلينا بمسجد الخيف الظهر وكذلك العصر خارج القبة التي التواتر أنها موضع خيمة مولانا علي كرم الله وجهه.

واجتمعت هناك بالشيخ محمد أكرم بن الشيخ عبد الرحمن مفتي الهند وهو

(١) في رواية الجلاب.

رجل عالم له تآليف على رجال البخاري واختصر البخاري في مجلد خدف الأسانيد والمكرر وهو ضرير كبير السن به مرض ملازم بيته ويوم النحر قدمناه من منى للإفاضة ولما رجعنا إلى منى التقينا محفة وبها رجل كبير مستلقي ولما لحق بنا الأخ الشقيق الصالح سيدي محمد الأخصاصي أخبرني أنه هو وأخبرني ولده الشيخ محمد انه شرح نخبة ابن حجر عشرين كراسة وله تأليف في الرد على الروافض وهو رجل صالح محقق فيما ذكروا وسألناه عن المسافة بيننا وبين الهند فقال أربعون يوما في البحر وأربعة أشهر أو ستة في البر وأن بلده هو السند وبينه وبين الهند ثلاثون يوما انتهى.

ولما صلينا العصر وجلسنا في مناخنا هنيئة إذ أخبرني بعض أصحابنا أن أهل تونس زعموا أنهم رأوا الهلال ليلة الثلاثين والراؤن له سبعة أحدهم من طلبة العلم وسألنا عنهم لنستخبر رؤيتهم فنكون على يقين من أمرهم فوجدناهم ذهبوا مع الذاهبين لعرفة لأن الأركاب كلها ذهبت كما هي للجبل ولم ينزل أحد بمنى سوانا وجماعتنا وهذه السنة عياذا بالله أميتت منذ أزمان.

وقد ذكر ذلك الكثير من المرتحلين كالعبدري وابن رشيد ومن بعدهما وذكروا أن الخوف يمنع من المبيت هناك بعد ذهاب الاركاب وقد من الله علينا بإحياء هذه السنة ولم تفتنا في حدة من الحجات ولله المنة والحمد ولما طرق أسماعنا ما ذكر من الخبر عن التونسيين اجتمع رأينا على الذهاب وقتئذ لعرفات فنستيقن الخبر فرحلنا وقتئذ وبلغنا نمرة وقد غاب الشفق وبتنا بإزائها فإذا بخبر الرائين خبر سجاح، ثم اضمحل مدارج الرياح، ولا هدي علينا في ذلك على ما شهر في المذهب ونقل التادلي والجزولي عن ابن العربي انه يلزمه الهدي ولم يحك غيره في سقوط الدم خلافا ومن تورع فليهد ولا حرج عليه فيه ونزل بإزائنا الشيخ عبد القادر بن أبي بكر مفتي

الحنفية وأتاني ضحى مع ولدين صغيرين له وسألته عن البناء القائم الآن بمسجد الخيف ونمرة وأخبر انه بناء قايت باي ولما زالت الشمس أفضنا علينا الماء للإحرام واغتسلنا غسلا خفيفا وتلك سنة هذا الغسل وجمعنا بين الظهرين مع أصحابنا ومن انحاز إلينا من أهل الافاق باذانين وبأقامتين وتقدمنا إلى المتوقف ووقفنا تحت الجبل الذي عليه القبة المنسوبة لأدم عليه السلام والخطيب لم نر له شخصا ولا سمعنا له صوتا وإن لم يكن بالبعد منا لكثرة الازدحام واختلاط الأصوات، مع اختلاف اللغات، وتباين الرغبات بأصوات التلبية لاشتراك الكل فيها ولا سبيل لأحد إلى تغييرها ووقفنا على إبلنا وأرحنا بغالنا اغتناما لبركة سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم نزل في موضعنا ذلك واقفين مستغفرين مكبرين مهللين داعين إلى أن غربت الشمس تحققنا أنا أخذنا جزءا من الليل فإذا الإمام نفر ونفر الناس ونفرنا معهم في زحمة محفوفة بالألطاف، مصحوبة من الله بالمواهب والإتحاف، ولم نر أحدا نفر قبل ذلك في سنتنا هذه وإن كانت الجهالون والأعراب تنفر قبل ذلك في غير هذه السنة والحمد لله على ذلك فانصرفنا بين المأزمين بلا كلفة ولا تعب ولما وصلت إلى الشعب ملت إليه ففعلت كما به فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم سرنى آمين المصلى بالمزدلفة فبلغناها بعد مغيب الشفق فجمعنا بين العشاءين ونزلنا فبتنا فيها فتفرق للقط الجمار هناك من أراده من الناس فلو شاهدت يا هذا تلك الحال وما عليه الناس في جبل عرفات، ووقوفهم بتلك العرصات، لهالك ذلك المشهد الذي هال أمره، وعجز عن وصفه زيد البيان وعمره، إذ ترى الملوك في مقام الافتقار والذلة، والفقراء في محل الاضطرار والقلة، والجميع يرغبون في المغفرة من الرحمان، ويطلبون الرحمة والعفو من العفو الرحيم الحنان المنان:

جاؤا بأحمال أوزار تؤدهم ... منها جبال وحسن الظن وطاها

فأل لما رأى الرحمان ذلتهم ... طوفان عفو وغفران فغطاها

فكم دموع تدفقت، وكم ضلوع تحرقت، وكم نسمات هبت، وكم سحائب رحمة صبت.

فكم حامد كم ذاكر كم مسبح ... وكم مذنب يشكو لمولاه بلواه
وكم خاضع كم خاشع متذلل ... وكم سائل مُدّت إلى الله كفاه
وساوى عزيز في الوقوف ذليلنا ... فكم ثوب ذل في الوقوف لبسناه
ورب دعانا ناظر لخضوعنا ... خبير عليه بالذي قد أردناه
ولما رأى تلك الدموع التي جرت ... وطول خشوع مع خضوع خضعناه
تجلى علينا بالمتاب وبالرضى ... وباهى بنا الأملاك حين وقفناه
وقال انظروا شعثا وغبرا نراهم ... أغثنا أجرنا يا إلاها عبدناه
وقد هجروا أموالهم وديارهم ... وأولادهم والكل يرفع شكواه
إلي فأني ربهم ومليكهم ... لمن يشتكي المملوك إلا لمولاه
ألا فاشهدوا أني غفرت ذنوبهم ... ألا فانسخوا ما كان عنهم نسخناه
فقد بدلت تلك المساوي محاسنا ... وذلك وعد من لدنا فعلناه
فيا صاحبي من مثلنا في مقامنا ... ومن ذا الذي قد نال ما نحن نلناه
على عرفات قد وقفنا بموقف ... به الذنب مغفور وفيه محوناه
وقد أقبل الباري علينا بوجهه ... وقال ابشروا فالعفو فيكم نشرناه
وعنكم سمحنا كل تابعة جرت ... عليكم وأما حقنا قد وهبناه
أقلناكم من كل قد جنيتم ... ومن كان ذا عذر إلينا عذرناه
فيا من عصى من يا أسا لو رأيتنا ... وأوزارنا تُرمى ويرحمنا الله
وددت بأن لو كنت حول رحابنا ... وترجو رحيما كلنا قد رجوناه
وقمنا إليه تائبين من الخطا ... وغفراننا من ربنا قد طلبناه

أمرنا بذاك الظن والله حسبنا ... عليه وهذا في الحديث نقلناه

عليه اتكلنا واطمأنت قلوبنا ... لما عنده من وسع عفو عرفناه

فطوبى لمن ذاك المقام مقامه ... وبشراه في يوم التغابن بشراه

يرى موقفا فيه الخزائن فتحت ... ووالى علينا الله منها عطاياه

وصالح مهجوار وقربت مُبْعدًا ... فذاك مقام الصلح فيه أقمناه

ودارت علينا الكأس بالوصل والرضى ... سُقينا شرابا مثله ما سُقيناه

فإن شئت تسقى ما سقينا على الحيا ... فَخَلِّ الوَنَى واحلل محلا حللناه

وفيه بسطنا للرحيم اكفنا ... وقال كفيتم عفونا قد بسطناه

واعتقنا كلا واهدر ما مضى ... وقال لنا كل العتاب طويناه

وإبليس مغموم لكثرة ما يرى ... من العتق محقور ذليل خزيناه

على رأسه يحثو التراب مناديا ... بأعوانه ويلاه ذا اليوم ويلاه

وأظهر منه حسرة وندامة ... وكل بناء قد بناه هدمناه

تركناه يبكي بعد ما كان ضاحكا ... فكم مذنب من كفه قد سلبناه

وكم من منى نلنا بيوم وقوفنا ... وكم من أسير للمعاصي فككناه

وكم ذا رفعنا للإله مسائلا ... ولا أحدا ممن نحب نسيناه

وخصصت الأباء والأهل بالدعا ... وكم صاحب نودي به ودعوناه

كذا فعل الحجاج هاتيك عادة ... وما فعل الحجاج نحن تبعناه

فظل حجيج الله لليل واقفا ... فقيل انفروا فالكل منكم قبلناه

فلما سقط قرص الشمس نفروا ... وكشفوا عن وجوه الاستبشار واسفروا

الهنا الهنا ... وعدتنا منك الهنا

فإن نجد برحمة ... فكم مضى عنا العنا

ولما أصبحنا بالمزدلفة، وصارت القلوب على حصول الرحمة والمغفرة مؤتلفة، غير مختلفة، وأسفر الفجر عن وجه الغرض، وأدينا من صلاة الصبح الحق المفترض، غلسنا الرحلة، ونادى منادي النقلة.

أفيضوا وأنتم حامدون إلهكم ... إلى مشعر جاء الكتاب بذكراه
وسيروا إليه واذكروا الله عنده ... ذكرنا كما رب العباد هداناه

ووقفنا به إلى الأسفار، وما تركنا من الدعاء وحميد الأذكار، فسرنا حتى جئنا بطن وادي محسر وهو وادي النار فأسرعنا وحركنا دوابنا وهو أول ما تحاذي البركة الخربة التي على يسارك أن مررت بطريق الأركاب وأنت ذاهب إلى منى حتى تأخذ في الطلوع إلى منى وترتفع بك الأرض وبهذا عرفه أعلم أهل عصره بالمناسك خليل المكي المالكي حسبما نقله عنه البلوي في رحلته إذ سأله عن حده والإسراع فيه مشروع ذهابا وإيابا فمضينا كما نحن على الطريق الكبرى التي تشقّ منى إلى أن أتينا جمرة العقبة حين الطلوع بُعَيْدَه ورميناها بسبع حصيات من أسفلها مكبرين مع كل حصاة كما كنا راكبين غير راجلين كما هو السنة عن سيد الأولين والآخرين، عليه أفضل صلاة المصلين، وأزكة سلام المسلمين، فعدنا لرحالنا ومناخنا، ونحرنا هدايانا، ودعونا لحلاقنا، أخينا ووديدنا الحاج عبد القادر فحلقنا فسرنا إلى مكة فاتيناها على هيئتنا، من ثياب إحرامنا، فطفنا للإفاضة ووجدنا البيت مفتوحا والناس على ظهره يكسونه ولما قضينا فريضة الطواف، عرض لي وفي المطاف، الأخ الحاج أبو عزة المراكشي وحث علي في الدخول للبيت فامتنعت تأدبا وتعللت له بالزحمة وقال لا زحمة بداخله وهو فارغ منبسط وما ترى من الزحمة لا يتعدى بابه ولا يتجاوزه الآن وإذا بأمير الحاج المصري إبراهيم أبو شنب واقف بالباب وخاطبه قائلا أن فلانا ذا واقف بالباب يبتغي الدخول للبيت وأشار إلي وفرح بي ورحب، وهش واطرب، وتقدمت وأخذ بيدي وأطلعني من غير كلفة ولا زحمة فدخلت